11- الفن القصصي الأعلام والاتجاهات

تمهيد: ازدهر الفن القصصي في النصف الثاني من القرن العشرين ازدهارا واضحا، ووجد لنفسه عددا كبيرا من الكتّاب في مختلف الأقطار العربية، وإذ لا يمكن الحصر فيمكن التمثيل على هذا الثراء بالأسماء العربية التالية:

من الأعلام:

في مصر: يوسف إدريس، أبو المعاطي أبو النجا، يحيى الطاهر عبد الله، محمد مستجاب، محمد عبد الحليم عبد الله.

في تونس: علي الدوعاجي، محمد العروسي المطوي،

في المغرب: محمد زفزاف، محمد شكري.

في الجزائر: زهور ونيسي، عبد الحميد بن هدوقة ، أبو العيد دودو، الطاهر وطار.

في ليبيا: خليفة التليسي، في لبنان: يوسف حبشي الأشقر.

في سوريا: زكريا تامر.

في العراق: عبد الملك نوري محمد خضير، عبد الرحمن مجيد الربيعي.

- ويحسن أن نسلط شيئا من الضوء على بعض من كبار القصاصين الذين كانت لهم خصوصية في كتابة القصة :

يوسف إدريس (1927- 1991): القصة الواقعية:

يعد الأديب الروائي القاص الطبيب يوسف إدريس العلامة الكبرى في مسار القصة القصيرة الواقعية، وكان له الأثر الكبير في تجارب عربية كثيرة اتجهت إلى المنحى الواقعي، الذي ظهرت بوادره عند محمود طاهر لاشين(مصر)، ونجاتي صدقي (فلسطين)، وعلي الدوعاجي (تونس).

يوسف إدريس من طبقة الكتاب الشباب المصريين بعد الحرب العالمية الثانية الذين كانوا يتطلعون إلى بناء مستقبل جديد للمجتمع المصري ومن أبرز أعماله القصصية التي ظهرت تباعا:

(أرخص ليالي) عام 1953، عالج فيها معاناة الفلاح المصري. ففي قصة (الغريب) يعرض نماذج من الريف ووحشته ويصور حياة الليل واللصوص.

وفي (حادثة شرف) يصف الإحساس العظيم بالشرف والعرض.

وفي (شيخوخة بدون جنون) يصور حياة طبيب صحة في الأرياف.

وبعض قصصه يطرق الموضوعات الوطنية والقومية ففي (مجموعة البطل) عام 1957 تحدث عن الجلاء في قصة (الوشم الأخير)، وتأميم القنال في قصة (صح)، و(قصة حب) تصور الكفاح ضد الإنجليز.

(أليس كذلك)، (قاع المدينة) عام 1958.

(آخر الدنيا) عام 1961 صور الطفولة في ظل غياب الوالدين. في (اليد الكبيرة) تحدث عن مأساة الموت وفراق الوالد.

- المجموعة القصصية (لغة الآي آي):

وفيها(حالة تلبس)، (الزوار)، (معاهدة سيناء)، (قصة ذي الصوت النحيل) وهذه القصص مؤرخة في ديسمبر 1962. (الورقة بعشرة) مؤرخة في جانفي 1957، (فوق حدود العقل) مؤرخة في 1961، (لغة الآي آي) التي سميت بها المجموعة.

كان يوسف إدريس يمزج في كتاباته القصصية بين اللغة الفصحى والعامية أو اللهجة المصرية.

تعتمد قصص يوسف إدريس بصورة واضحة على ما يجري في الواقع المصري بصورة مؤثرة، ولذلك فقصصه سندات أساسية لفهم الشخصية المصرية.

ملخص قصة (لغة الآي آي):

لغة الآي آي قصة من المجموعة القصصية المعنونة بهذا العنوان من باب تسمية الكل بعنوان الجزء، تمتد عبر عشرين صفحة، والآي آي هي لغة المريض هي الأصوات التي يصدرها المريض من شدة الألم، والمريض هو (فهمي) من قرية (زينين) من الصعيد المصري، أصيب بمرض سرطان المثانة، وكان لا بد أن يأخذه أهل القرية إلى المدينة من أجل العلاج وهنالك يستقبلهم صديق طفولته ورفيقه أيام الدراسة بالقرية، ويصر على أن يأخذه إلى بيته ليقضي ليلته، مع علمه أن زوجته الأرستقراطية ترفض مثل هذا التصرف، وفي الليل يطلق فهمي العنان لآلامه فتمتد صرخات فهمي المريض آي آي، ومعها يعلو صوت اللوم والتوبيخ من زوجة الحديدي.

زكريا تامر (من مواليد دمشق 1931):

إذا كان يوسف إدريس يمثل الاتجاه الواقعي، فإن الأديب القاص زكريا تامر أطل منذ بداية الستينات ممثلا لمدرسة قصصية مميزة، يطلق عليها التعبيرية أو الذاتية أو الشعرية، ومع أنها ذات منطلق واقعي إذ ليس هناك قصة غير واقعية، فهي تبتعد عن التناول المباشر للواقع بل يستعمل أساليب إيحائية وتعبيرية متعددة. ومن أعمال زكريا تامر:

(صهيل الجواد الأبيض) قصص ذاتية، (ربيع في الرماد) تتحدث عن خفايا دمشق، (الرعد) تتحدث عن المظلومين)، (دمشق الحرائق) تتحدث عن دمشق وأحزانها ماضيها وحاضرها، (النمور في اليوم العاشر) ذات اتجاه سياسي تحكي هموم المواطن العربي، (نداء نوح)، (سنضحك)، (الحصرم) ومعناه العنب قبل النضج..

ويمكن إيجاز أبرز **خصائص القصة التعبيرية** كما عمقها زكريا تامر فيما يلي:

– السمة الشعرية في الرؤية واللغة، حيث نقل لغة الشعر الحديث إلى القصة فأضاف لها لمسات فنية مميزة، ولذلك تفيض قصته بالصور والأخيلة والإيقاع.

– الانطلاق من الواقعي إلى الغرائبي، ومن المعقول إلى اللامعقول.

– توظيف الرموز الإنسانية والحيوانية والطبيعية، واستخدام رموز تراثية واستحضار شخصيات من الماضي ووضعها في إطار الحاضر وتوقّع سلوكاتها الجديدة.

– تقنيات الأحلام والكوابيس وكل ما ينتج عن عالم اللاوعي والعالم الباطن في الكائن الإنساني.

– تحطيم التسلسل المنطقي للأحداث، والسرد المشوش، وتحضر تقنيات الاسترجاع والاستباق عبر حضور حاسة التذكّر وحاسة التوقع، أي استذكار أحداث ماضية، ورسم سيناريوهات مفترضة لوقائع مستقبلية.

– ظاهرة السخرية والتهكم والإضحاك.

القصة الجزائرية:

معظم القصص الجزائري كان اتجاهه يدور حول الثورة والهجرة وآثار الاستعمار والتقاليد والعادات وعلاقة الرجل بالمرأة وقضية فلسطين، ومن نماذجه (بحيرة الزيتون) لأبي العيد دودو، و(الرصيف النائم، وعلى الشاطئ الآخر) لزهور ونيسي، و(دقت الساعة) للبهي فضلاء، و(طعنات) للطاهر وطار.

فقصص بحيرة الزيتون لأبي العيد دودو (1934– 2004 أديب وناقد، أستاذ جامعي) مثلا تصور حرب التحرير بأبطالها وأحداثها وشخصياتها، والقصة التي عنونت بها المجموعة

تصور شيخا كرس حياته لمواساة المواطنين إبان الثورة وشخصية الأم التي تفرح بانضمام ابنها إلى الثوار.